وبين مختلف الركائز الشعبية ٠ وقد تجعل الظروف المحيطة ـ الدولية مثلا ـ هذه الشروط غير كافية في فترات معينة ، ولكنها هي الشروط اللازمة والجوهرية على أية حال ٠

ان النضال الطويل الدامي الذي خاضه الشعب الفلسطيني البطل من أجل أرضه وكيانه وشرفه ليشكل كنزا لا يفنى من الخبرات والدروس لمن يعتبر ٠ ويمسك عبد القادر ياسين بيدنا ليضعها على العديد الهام منها ٠ وبعضها يلقي ضوءا ساطعا على المشاكل التي تواجهها الحركة الوطنية الفلسطينية اليوم ٠

ولعل العبرة الاولى تتعلق بعلاقة هذه الحركة بالشعوب والنظم الحاكمة العربية ٠ ولقد وقفت الجماهير العربية دائما مؤيدة للقضية الفلسطينية ، وان كان بصورة هامشية في أغلب الاحيان خلال الفترة التي تحت الدراسة ٠ أما اليوم ، فالقضية الفلسطينية جزء لا يتجزأ من الاهداف الوطنية العربية ، بعد أن فتحت النكبة الطريق أمام التوسعية الاسرائيلية لكي تبتلع لا فلسطين كلها فحسب بل وأقساما كبيرة من أراضي الدول العربية الاخرى ، وتهدد الباقي ٠٠٠

غير أن التمسك بالتضامن العربي وبالحركة القومية العربية يجب ألا يجعلنا نفقد التمييز بين مصالح الشعوب ومصالح الطبقات الحاكمة ، وفي تاريخ فلسطين انجذابات بارزة انحسرت فيها الحركة الوطنية عن تحقيق مرادها بسبب قبولها التدخل من بعض الحكام العرب (الامير عبدالله ، وابن السعود عام ١٩٢٩ ثم نوري السعيد وملك السعودية وأمير شرق الاردن وملك العراق وامام اليمن عام ١٩٣٦ الخ) ٠ هذا علاوة على الدور الذي لعبوه في حرب ١٩٤٨ ٠٠ وبعد النكبة انتشر في بعض الاوساط الرأي القائل ان حل قضية فلسطين لن يأتي الا على أيدي الدول العربية ٠ وتسبب هذا الرأي في اشاعة الكثير من اليأس والتواكل والسلبية بين صفوف الجماهير الفلسطينية ٠ ولم تحل الدول العربية القضية ، بل كانت ـ مدة طويلة ـ عاملا في طمسها ٠ وعلى العكس ، فمنذ أن أصبح من محاور الفكر الوطني الفلسطيني أن مفتاح الحل في أيدي أبناء الشعب المشرد ، بات واضحا ان استعادة حقوقهم القومية أمر ممكن من خلال النضال ، وليس من شك في أن متانة الوحدة الشعبية الفلسطينية حول المقاومة في العقد الاخير كان عنصرا فعالا في كتم أنفاس العناصر العميلة وشل تردد المترددين في الدول العربية ذاتها ٠

والعبرة الثانية التي يمكن استخلاصها من كتاب عبد القادر ياسين هي أن الاعتماد على الاستعمار كحليف أو صديق أو متفاهم ٠٠٠ لتحقيق الهدف الوطني ، مغالطة مجرمة ٠ ولقد لجأ الزعماء العرب الى الدولة المنتدبة لكي توقف الموجة الصهيونية سنوات بعد سنوات دون جدوى ٠ واستلفتت عيني عبارة قالها عوني عبد الهادي في شهادته أمام اللجنة الانجلوامريكية : ان الانجليز والامريكان سوف يعدلون عن مساعدة الصهيونية لانهم « لا يقبلون ابادة عرب فلسطين ولا يضحون بمصالحهم في البلاد العربية والاسلامية » ٠ وقد أثبت التاريخ ان النقيض تماما هو الذي حدث ، وان الاستعمار العالمي نجح في أن يغتصر المزيد ثم المزيد من الثروات العربية بالاعتماد على العصا الاسرائيلية الغليظة ٠ ونسمع اليوم بعض المسؤولين يرددون كلاما شبيها بحكمة عوني عبد الهادي بعد أن مرت عليها ثلاثون سنة : يحاولون ان يقنعونا بأن الاحتكارات النفطية الامريكية هي الضمان لاستقلال البلاد العربية ، وهي الحريصة على عودة اللاجئين الى بلادهم ٠٠٠ الا أن بعض دروس التاريخ العربي في فلسطين وغيرها دخلت عميقة في الوعي الوطني بحيث باتت دبلوماسية الخطوة خطوة تصطدم به في كل مناورة من مناوراتها ٠

والعبرة الهامة الثالثة هي أن الجماهير الشعبية ـ من العمال والفلاحين والمنتجين الصغار ـ هي القوة الفعالة في الحركة الوطنية ، وهي دعامة الثورة ووقودها وضمان استمرارها ونجاحها ٠ وهي التي تستميت الثورة المضادة والجبهة الاستعمارية في سبيل ابعادها عن الميدان الوطني وجعله قاصرا على الشخصيات الرسمية « المعتدلة » التي تؤخذ ستارا لطعن القضية من ورائه ٠ غير ان التحرك الجماهيري العربي ـ وخاصة منذ أواخر الثلاثينات ـ أخذ